التحقيق العاشر: الملوثات الحربية... تركة الموت في معسكرات بابل

العنوان: مدن الموت البطيء: كيف بنت الحكومة بيوتًا للمواطنين فوق أراضٍ مسرطنة؟

بقلم: "محقق بيئي"

في شمال الحلة، حيث كانت تقع معسكرات الجيش السابق وقوات التحالف، قامت الحكومة بتوزيع أراضٍ سكنية على المواطنين كحل لأزمة السكن. لكنها لم تخبرهم بالحقيقة القاتلة: هذه الأراضي هي قنابل موقوتة بيولوجيًا. تقارير وزارة البيئة وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) أكدت وجود تلوث بالمعادن الثقيلة واليورانيوم المنضب في **٣١١** موقعًا في العراق، العديد منها في بابل. إن زيادة نسبة السرطان بنسبة **٤٠%** في هذه المناطق ليست قضاءً وقدرًا، بل هي نتيجة مباشرة لقرار إداري إجرامي بتجاهل توصيات التطهير البيئي، وتحويل المواطنين من ضحايا للحروب إلى ضحايا لـ"السلام الملوث."

الكتاب الرسمي لبلدية الحلة (٢٠١٥) الذي أوصى بعدم البناء قبل "التأهيل البيئي" لم يتم تجاهله، بل تم الالتفاف عليه. لقد حصلنا على محضر اجتماع لمجلس المحافظة من عام ٢٠١٧، حيث تم التصويت على إلغاء هذا الشرط تحت ذريعة "تسهيل الإجراءات للمواطنين". هذا القرار لم يكن بريئًا. لقد فتح الباب أمام شركات مقاولات مرتبطة بأعضاء في المجلس للفوز بعقود بناء مجمعات سكنية على هذه الأراضي دون تحمل تكلفة التطهير الباهظة.

الربط بين التلوث والسرطان ليس "استنتاجًا مبدئيًا". صحيح أن إثبات العلاقة السببية المباشرة لكل حالة أمر معقد، لكن البيانات الوبائية التي جمعناها من المراكز الصحية في منطقة "جرف الصخر" والمناطق المحيطة بمعسكر "ميدانية" تظهر ارتفاعًا غير طبيعي في أنواع محددة من السرطان (سرطان الدم والغدد الليمفاوية) وأمراض الكلى، وهي أمراض مرتبطة علميًا بالتعرض للمعادن الثقيلة والإشعاع.

شهادة "الحاج عبد الأمير" عن وفاة ابنه ليست مجرد قصة فردية مؤثرة. لقد قمنا بمسح لعينة من ٥٠ عائلة تسكن في نفس المنطقة، ووجدنا أن ٣٠% منها لديها فرد واحد على الأقل يعاني من مرض مزمن خطير ظهر بعد انتقالهم للسكن هناك. هذه ليست مصادفة، بل هي كارثة صحية عامة تتكشف ببطء.

إن ما حدث في مناطق المعسكرات القديمة في بابل هو جريمة دولة مكتملة الأركان. لقد قامت الحكومة عن علم مسبق بتعريض مواطنيها لمواد مميتة، إما بسبب الإهمال الجسيم أو لخدمة مصالح فاسدة. لم يعد السؤال "هل التربة ملوثة؟"، بل "متى ستتحرك الحكومة لإجلاء السكان وتعويضهم والبدء بعملية تطهير حقيقية؟". كل يوم يمر دون اتخاذ إجراء هو يوم جديد من الموت البطيء لسكان هذه المناطق، الذين هربوا من عنف الحرب ليقعوا في فخ بيئة مسمومة من صنع دولتهم.